

الأخلاق في القرآن فروع المسائل الأخلاقية

[191] "الآية الحادية عشر" تتحدث عن أصل كلّي وعام وتبيّن أن حالة التعصب والاصرار على طول التاريخ البشري كان لها الدور المهم في استمرار الأقوام البشرية في سلوكهم في خط الكفر ومحاربة التوحيد وتقول : (وَكَذَلِكَ مَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ فِي قَرْيَةٍ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتَدِرِفُوهُمْ أَإِنَّا لَمُتَدِرِفُونَ(1). وسياق الآية يوحي إلى أن أهم مانع في مقابل الإيمان واتباع الأنبياء الإلهيين هو التعصب والتقليد الأعمى الناشئ من حالة الجهل التي يعيشها الإنسان. وهنا تتضح الأبعاد الخطيرة لهذه الرذيلة الأخلاقية. -- ونقرأ في "الآية الثانية عشر" والأخيرة أن الجاهليين وبسبب حالة التعصب واللجاجة كانوا يتهمون أكبر الأنبياء الإلهيين بالجنون ويجعلون ذلك ذريعة لمخالفتهم للدعوات السماوية وتقول : (وَيَقُولُونَ أَأَنذَرْتَنَا لَعَنَ الْإِلَهُتِنَا لِشُعَاعِرٍ مَّجْنُونٍ(2). والعجيب أن هؤلاء كانوا غارقين في دوامة الجهل والتعصب الأعمى إلى درجة أنهم لم يكونوا يدركون أن كلامهم هذا متناقض، فإن كونه (شاعراً) يدل على الذوق السليم والقريحة والتأمل والتفكير والإطلاع الوافي على دقائق الكلام (والملاحظ أن كلمة الشاعر من مادّة الشعور) وهذا ما يتقاطع مع كونه مجنوناً كما هو واضح. وأحياناً يتهمون الأنبياء بالسكر والجنون كلاهما في حين أن السكر يحتاج إلى الإطلاع الواسع على بعض العلوم والمعارف ويستبطن ذكاءاً خاصاً، وكل هذا يتقاطع مع الجنون، وهذا يوضح أن كلام هؤلاء المتناقض لم يكن بوحى من العقل والتفكير الهادئ والمنسجم بل بدافع من الجهل والتعصب والعقدة. -- 1. سورة الزخرف، الآية 23، 2. سورة الصافات، الآية